# مقومات أمن الإنسان في القرآن الكريم

**د. عبد الله بن عبد الرحمن الشثري**
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

# مقومات أمن الإنسان في القرآن الكريم

**د. عبد الله بن عبد الرحمن الشثري**
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

**ملخص البحث:**

الأمن دعامة عظيمة من دعائم الحياة وضرورة جعله الله من أعظم النعم على العباد، فلا تطمئن النفوس، ولا تستقيم الحياة، ولا يهنأ العيش، ولا تظهر المصالح، ما لم يكن هناك أمن بين الناس، وبغيره تضطرب الحياة، ولما كان الأمن بهذه المثابة للإنسان فإن الله قد أنزل في كتابه على لسان نبيه ﷺ سبل الهداية إلى تحقيق والاطمئنان في حياته، فبين في كتابه الأسباب والوسائل التي تعين الإنسان على أن يكون آمناً في نفسه مطمئناً في حياته وبين مجتمعه، وقد ذكرت في هذا البحث المقومات التي يجبُ على الإنسان القيام بها، فعرّفت أولاً الأمن لغة اصطلاحاً، وذكرت مجالاته، وبينت عناية القرآن بالإنسان من حيث إنسانيته ومراحل خلقه، والفطرة التي فُطر عليها، وتكريم الله له، وتشريفه بوصفه بالعبودية لربه، ثم عدَّدت المقومات الكبرى لتحقيق الأمن، وهي طلب العلم، وتحقيق الإيمان، واجتناب الشرك بأنواعه، وإقامة الحدود الشرعية، وأداء الفرائض، والاتباع لهدي النبي ﷺ واجتماع كلمة المسلمين، والسمع والطاعة لولي أمرهم بالمعروف، وتحقيق الأخلاق الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واستقرأت ذلك من الآيات الدالة على كل مقوم من مقومات تحقيق الأمن للإنسان، وغلَّبت في البحث الجانب التفسيري الذي هو هدف الأمن ومقصوده، مع الاستشهاد والبيان بما ثبت في سنة النبي ﷺ وأكثرتُ من إيراد النصوص الشرعية، والنقل عن أهل العلم المحققين، بما يدعم البحث ويقويه، وسلكت في البحث المسلك العلمي من التوثيق والتخريج للأحاديث. والله ولي التوفيق.

**المقدمة:**

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، وشرع له ديناً قويماً ومنهجاً مستقيماً، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد:

فإن الله أنزل كتابه المبين، وجعله نوراً وهدى للناس، من تمسك به فقد اعتصم بحبل متين، وهُدى إلى صراط مستقيم، ومن أعرض عنه فقد ضل وسلك طريق الغاوين، وجعل الله في هذا القرآن خيراً ممدوداً للعباد، ومائدة يتغذى منها العقل والروح، بها يسمو الإنسان على كل الشهوات، وبها ينتصر على كل الشبهات والضلالات، وفي ظلال هدايات القرآن ينعم الناس بنعم عظيمة متعددة، من أعظمها نعمة الأمن والاطمئنان والاستقرار وبذلك يسعد المجتمع وتستقيمُ الحياة، وحاجةُ الناس إلى الأمن في كل شيء ضرورة ملحة، ولن يكون ذلك إلا بالإيمان الصادق والعملِ الصالح والتوحيدِ الخالص، مصداقاً لقوله – تعالى –: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام، الآية:٨٢].

ولا ريب أن الأمن دعامة عظيمة من دعائم الحياة، وضرورة للإنسان، جعله الله من أعظم النعم الدنيوية على العباد الموجبة لشكره، فقال – سبحانه –: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [ قريش، الآية: ٤]، فلا تطمئن النفوس، ولا تستقيم الحياة، ولا يهنأ العيش، ولا تقوم المعالم، ما لم يكن هناك أمنٌ بين الناس، وبغير الأمن تضطربُ الحياة، ويخافُ الناس، وتنقطعُ المصالح، وتتعطلُ المنافع، ويحلُ الخوف والرعب، وحاجة الإنسان إلى الأمن في حياته حاجة فطرية ملحة لا تقل أهميته عن حاجته للطعام والشراب والمأوى؛ ولهذا قَدَّمه إبراهيم عليه السلام في الدعاء في قوله – تعالى –: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة، الآية: ١٢٦].

ولما كان الأمن بهذه المثابة للإنسان فإن الله – تعالى – قد أنزل في كتابه وشَرْعِه الحكيم، على لسان نبيه الكريم –صلى الله عليه وسلم– سُبل الهداية إلى الصراط المستقيم، ليتحقق له الأمن والاطمئنان في حياته، فبين الله في كتابه الأسباب والوسائل التي تعين الإنسان على أن يكون آمناً في نفسه، مطمئناً في حياته، وبين مجتمعه.

ولما للأمن من أهمية بالغة في واقع الحياة وبين المجتمعات رأيت أن أتناول في هذا البحث ما يكون سبباً للإنسان في تحقيق الأمن لنفسه ولغيره وجعلت عنوانه: ((مقومات أمن الإنسان في القرآن الكريم)).

وبقدر تمسك الإنسان بهذه المقومات والعملِ بها وتطبيقها في واقع الحياة يكون نصيبه من الخير والأمن والسلامة في النفس والمال والأهل والأوطان.

**خطة البحث:**

تتألف خطة البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياره، ثم ذكرت خطة البحث، ومنهجي فيه.

**التمهيد: وفيه:**

- تعريف الأمن لغة واصطلاحاً.
- مجالات الأمن وميادينه.

**الفصل الأول : عناية القرآن بالإنسان وفيه مبحثان :**

- **المبحث الأول :عناية القرآن بالإنسان من حيث إنسانيته. وفيه ثلاثة مطالب :**
  - **المطلب الأول** : مراحل خلق الإنسان
  - **المطلب الثاني** : الفطرة التي خلق عليها الإنسان.
  - **المطلب الثالث** : تكريم الله للإنسان وتفضيله على كثير من المخلوقات.
- **المبحث الثاني : عناية القرآن بالإنسان من حيث وصفه بالعبودية.**

**الفصل الثاني: مقومات أمن الإنسان في القرآن. وفيه تسعة مباحث:**

المبحث الأول : طلب العلم.

المبحث الثاني : تحقيق الإيمان بأركانه.

المبحث الثالث : اجتناب الشرك بأنواعه.

المبحث الرابع : إقامة الحدود الشرعية.

المبحث الخامس : أداء الفرائض في الإسلام.

المبحث السادس : الاقتداء والاتباع ولزوم هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– وترك مخالفته.

المبحث السابع : الاجتماع والسمع والطاعة.

المبحث الثامن : تحقيق الأخلاق الإسلامية.

المبحث التاسع : القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث ثم فهارسه.

**منهج البحث:**

هذا البحث دراسة موضوعية لمقومات أمن الإنسان في القرآن الكريم سلكت فيها المنهج التالي:

١. استقراء الآيات القرآنية الدالة على كل مقوم من مقومات تحقيق الأمن للإنسان، وغلَّبت في البحث الجانب التفسيري الذي هو هدفُ الأمنِ ومقصودُه مع الاستشهاد والتبيين لذلك بما ثبت في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

٢. تتبعت في كتابة البحث الدليل من القرآن الكريم الدال على كل مقوم من مقومات الأمن، وعُدت بعد التأمل والدراسة إلى هذا الدليل بالاستنباط على ضوء ما قاله علماء السلف، وأكثرت من إيراد النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتأصيل البحث.

٣. لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث لأن الترجمة هي عمل فني قد تأخذ حيزاً كبيراً من مساحة البحث وتخرجه عن مقصوده واكتفيت بذكر الوفاة لكل علم يرد في متن البحث في الموضع الأول.

٤. عزوت الآيات إلى سورها في أعلى البحث وجعلت ترقيمها بعد ذكرها وخرجت الأحاديث النبوية من الآثار من مصادرها المعتمدة واكتفيت بذكر رقم الحديث فقط.

٥. وثقت كلام أهل العلم المنقول في البحث المتعلق بمسائله وعلَّقت على ما يحتاج إلى تعليق منها.

**وأسأل الله – تعالى– أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ومِنه استمد العون والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.**

* * *

## التمهيد

وفيه:

- تعريف الأمن لغة واصطلاحاً.
- مجالات الأمن وميادينه.

### أولاً: تعريف الأمن لغة واصطلاحاً:

### تعريف الأمن في اللغة:

أما في أصل كلمة الأمن من حيث الدلالة اللغوية فقد قال ابن فارس (ت: ٣٩٥): ((أمن)) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان.

أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان، قال الخليل: الأمنة من الأمن، والأمان إعطاء الأمنة، والأمانة نقيض الخيانة، يقال: أمِنت الرجل أمناً: وأمنة وأماناً[1].

والأمن مصدر، وهو ضد الخوف قال الراغب (ت:٥٠٢): ((أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يُؤمَن عليه الإنسان))[2].

تعريف الأمن في الاصطلاح:

يتضح مِن عرض التعريف اللغوي، أن المادة اللغوية تدور على معنى السكون والطمأنينة وذهاب الفزع والخوف، الذي من شأنه أن يحقق للناس الراحة والسعادة في حياتهم، وعلى هذا فيكون تعريف الأمن في الاصطلاح:

حفظ حياة الناس من الأضرار والمفاسد والمخاوف بحيث يسود فيهم الأمان والاستقرار والطمأنينة.

---

(١) مقاييس اللغة، مادة: ((أمن)) (١٣٣/١)، وانظر: العين للخليل بن أحمد (٣٨٨/٨)، وتهذيب اللغة (٥١٠/١٥)، ولسان العرب (١٤٠/١)، مادة: ((أمن)).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ((أمن)) (ص: ٢٥)، وانظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (أمن) (١٣٧/١).

وبيان ذلك أن يعيش الإنسان في الحياة آمناً على نفسه ودينه وعرضه وماله من أي اعتداء عليها، فتمهيد السبل وإنارة الطريق أمن، ومعاقبة الجناة والظلمة، وإرجاع الحقوق إلى أهلها أمن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمن، ولا يقوم سلطانُ الأمن إلا إذا حافظ كل فرد عليه، فهو شعار المسلم الذي يُعرف به والوصف الغالب عليه، وثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو –رضي الله عنهما– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه))[1].

فالمسلم كامل الإسلام هو الذي لا يعتدي على أحد بلسانه ولا يحرض على المعصية والإثم والفجور والتجاوز لحدود الله، وهو الذي كف يده فلا يؤذي بها أحداً من البشر، فكل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه.

**ثانياً: مجالات الأمن وميادينه:**

الأمن مطلبٌ عام، ومجالاته شاملة لكل نواحي الحياة وميادينها، ومن الضرورات لاستقامة الحياة واستقرارها، ومن أجل النعم وأشملها نفعاً على الناس، وقد ذكره الله –تعالى– في معرض الوعد بالحياة الطيبة في الدنيا، وحسن الجزاء والعاقبة في الآخرة في قوله –تعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ٨٢].

فالأمن يأخذ مجال الشمولية التامة في الحياة التي لا يمكن حصرها، لكن يمكن أن يقال: إن الأمن ينبغي أن يتحقق وجوده للضرورات الخمس التي تؤكد النصوص الشرعية على حفظها ورعايتها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض، ولكن لما استجد في واقع الناس كثير من النوازل والحوادث والقضايا المعاصرة التي لم تكن من قبل، أصبح الباحثون يُفرعون الحديث عن مجالات الأمن وميادينه، فكل جهة تهتم بجانب من جوانب الحياة تجعل للأمن مجالات في تخصصها، وتتوسع في الحديث عن هذا الجانب بتشخيص المشكلة الأمنية، وتضع ذلك العلاج والحل من خلال دراسات وأبحاث ولقاءات وندوات ومؤتمرات، فهناك الأمن الفكري الذي يعني في تصوري ((الأمن العقدي))، وهناك الأمن

(١) أخرجه البخاري (١٠، ١١)، ومسلم (٤٠، ٤١، ٤٢).

الاجتماعي، والأمن الغذائي، أو ما يسمى بالأمن الاقتصادي والأمن الصحي، والأمن البيئي، وما أشبه ذلك.

فهذه معظم مجالات الأمن التي وسعتها شريعة الإسلام السمحة، حيث أحكامها تحمل صفة العموم والشمول والبقاء والدوام؛ ليقوم الناس بعبادة الله على الوجه الصحيح، وليسعوا في عمارة الأرض بما يعود عليهم بالنفع والمصالح.

* * *

**الفصل الأول : عناية القرآن بالإنسان.**

**المبحث الأول**

**عناية القرآن بالإنسان من حيث إنسانيته.**

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: مراحل خلق الإنسان.**

خلق الله –تعالى– في هذا الكون الفسيح كثيراً من أنواع المخلوقات، وحينما بدأ القرآن الكريم يتنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بدأ بذكر خلق الإنسان في أول آيات نزلت، في قوله –تعالى– مخاطباً نبيه –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق، الآيات ١– ٥ ].

فهذه الآيات الخمس هي أول ما نزل من القرآن على الصحيح من أقوال أهل العلم، لما ورد في الصحيحين من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: أول ما بُدِئَ به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، حتى قالت: حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فقال له الملك ((اقرأ)) قال: ((ما أنا بقارئ)) إلى أن قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، حتى بلغ: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (١).

وأصل خلق الإنسان من تراب، وقد ذكر الله –تعالى– في القرآن الكريم أطوارَ ذلك الخلق.

قال الشنقيطي: ((أوضح الله – تعالى – في كتابه أطوار هذا الطين الذي خلق منه آدم فبين أنه أولاً خُلق من تراب، قال – تبارك وتعالى–: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران، الآية ٥٩]، وقال – تعالى –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ﴾ [غافر، الآية ٦٧])).

ثم أشار – سبحانه – في مواضع أُخر أن ذلك التراب بُلَّ، فصار طيناً يَعلق بالأيدي، فقال – تبارك وتعالى –: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ [الصافات، الآية ١١]، وقال – تبارك وتعالى –: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ [المؤمنون، الآية ١٢]،

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

وقال – تبارك وتعالى –: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة، الآية ٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

وبين أن ذلك الطين أسود وأنه متغير بقوله هنا ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر، الآية ٢٦]، وبين – أيضاً – أنه يبس حتى صار صلصالاً، أي: تَسمعُ له صلصلة من يُبسه، بقوله – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر، الآية ٢٦]، وقوله – تعالى –: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن، الآية ١٤]، والعلم عند الله[1].

ثم يعود الحديث عن خلق الإنسان وتكوينه، والتنقل به من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم إلى لحم، إلى بشر سوي يمشي على الأرض، بصورة دقيقة محكمة معجزة للطاقات مُحيّرة للألباب في آيات متفرقة في سور القرآن الكريم.

ففي سورة الحج بين الله – تعالى – الأطوار التي مرَّ بها خلق الإنسان في قوله – جل ذكره –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج، الآية: ٥].

ففي هذه الآية بيان لتلك المراحل الخلقية والتكوينية التي مر بها خلق الإنسان.

فأصل خلق البشر من تراب، وهو الذي خُلق منه آدم عليه السلام، ثم خَلق الله ذريته مِن النطفة كما قال – سبحانه –: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهي الماء المهين الوارد في قوله – تعالى –: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة، الآية: ٨]، أي ضعيف، وهذه النطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة فيبدأ – بإذن الله – تكوين خلق الإنسان كما قال الله – تعالى –: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق، الآيات: ٥ – ٧].

---

(١) أضواء البيان (٣/١٦٨) سورة الحجر.

وقوله –تعالى –: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ والعلقة: هي الدم الغليظ الشديد المتجمد.

وقوله – تعالى ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ هي اللحمة الصغيرة التي كأنها تمُضغ فيتكون منها – بإذن الله تعالى – خلق الإنسان[1].

ثم بعد ذلك أخبر الله أن هذه المضغة منها ما هو مُخلَّق، ومنها ما هو غير مخلق في قوله – جل ذكره – : ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.

قال أبو المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩) في تفسيره: ((قال ابن عباس: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ تام الخلق، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ناقص الخلق، والقول الثاني أن المخلقة هو الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة هو السقط))[2].

قال أبو حيان : ((ولما كان الإنسان فيه أعضاءً متباينة، وكل واحد منها مختص بخَلقٍ، حَسُن تضعيف الفعل لأن فيه خلقاً كثيرة))[3].

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): المخلقة هي التي تَشرعُ في التشكيل، فَيُصَور منها رأس ويَدان وصدرٌ وبطنٌ وفخِذان ورِجلان وسائر الأعضاء، فتارة تُسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط... فإذا مضى عليها أربعون يوماً، وهي مضغة، أرسل الله – تعالى – إليها مَلَكاً فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله – عز وجل – مِن حَسَن وقَبِيح وذَكَرٍ وأُنثى، وكَتَب رزقها وأجلها وشَقيّ أو سعيد، كما ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش (ت: ١٤٨)، عن زيد بن وهب (ت: ٩٦)، عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو الصادق المصدوق: ((إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، ويُكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح))[4].

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٤/٣١٣)، وابن كثير (٥/٢٣٦١) والسعدي (٥/٢٧٤).

(٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٣/٤١٩)، وقول ابن عباس مروى عن عكرمة، وقتادة، وأبي العالية، ومجاهد، كما في الدر المنثور (٤/٦٢١)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/٢٤٧٥).

(٣) البحر المحيط (٦/٣٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/٢٣٦٢) والحديث الذي ساقه ابن كثير أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

وهذه الآية فيها بيان بدء الخلق وتنقل أحواله، كما قال – تعالى –: ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [الحج، الآية: ٥]. فبين الله – تعالى – لعباده أصل نشأتهم مع قدرته – تعالى – على تكميل خلقه في لحظة واحدة، ولكن ليبين لنا كمال حكمته وعظيم قدرته وسعة رحمته[1].

ونظير هذه الآية ما جاء في سورة المؤمنون، في قوله – سبحانه –: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون، الآيات: ١٢–١٤].

وفي آيات أُخَر أجمل الله – تعالى – خلق الإنسان وحياته بصورة أخرى، في غاية الاختصار وحسن البلاغة منها:

- قوله – تعالى –: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل، الآية: ٤].
- وقوله – سبحانه –: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ... ﴾ [السجدة، الآيات: ٧–٩].
- وقوله – تعالى –: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ... ﴾ [فاطر، الآية: ١١].
- وقوله – جل ذكره –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ ... ﴾ [غافر، الآية: ٦٧].
- وقوله – تعالى –: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم، الآيتان: ٤٥–٤٦].
- وقوله – تعالى –: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْىِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة، الآيات: ٣٧–٤٠].
- وقوله – سبحانه –: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان، الآية: ٢].

---

(١) انظر تفسير السعدي (٥ / ٢٧٤).

- وقولـه –تعـالى:– ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس، الآيات: ١٧–١٩].

- وقولـه –تعـالى –: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق، الآيات: ٥–٧].

وهذا من رحمة الله – تعالى – ولطفه بالإنسان حيث خلقه تام الخلقة مكتملاً في أعضائه جميلاً في شكله ومنظره حتى صار في أحسن صورة، منتصب القائمة سوياً في جميع أعضائه فتبارك الله أحسن الخالقين.

**المطلب الثاني: الفطرة التي خلق الله عليها الإنسان.**

أخبر الله – تعالى – في كتابه أنه خلق الإنسان على الفطرة السوية التي تدله وترشده إلى دين الله وشريعته فقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم، الآية: ٣٠].

وجاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتجُ البهيمةُ بهيمةً جَمْعَاء هل تحسون فيها من جَدْعَاء؟ ثم يقول أبو هريرة، واقرؤا إن شئتم: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾»[1].

وقد اختلف أهل العلم في معنى الفطرة الواردة في الآية والحديث.

فقيل: الفطرة الخلقة التي خَلَقَ الله عليها البشر، قاله الزجاج (ت:٢١١)[2] وصححه ابن الجوزي (ت:٥٩٧) في زاد المسير[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٨٤).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٠٠).

وقيل: الفطرة هي الإسلام، وهو قول مجاهد (ت:١٠٤)، وقتادة (ت:١١٨)، وإليه ذهب الإمام أحمد (ت:٢٤١)، قال ابن جرير الطبري (ت:٣١٠): صنعة الله التي خَلَقَ الناس عليها. ثم ساق بإسناده إلى مجاهد وابن زيد أنها بمعنى الإسلام[١].

قال القرطبي (ت:٦٧١): وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة –رضي الله عنه– المتقدم.

ومن قال إنها بمعنى الخلقة فهو موافق في المعنى لمن فسرها بالإسلام[٢]؛ لأن الفطرة هي الخلقة التي خَلَقَ الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفطَرَهم حنفاءَ مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه[٣].

ولهذا قال الزجاج في معانيه بعد أن ساق معنى الفطرة قال: فمعنى «فطرة الله» دين الله الذي فطر الناس عليها[٤].

فالإسلام يأمر بكل ما فيه خير وإصلاح وفلاح للعباد في دنياهم وأخراهم، وينهاهم عن كل شر وفساد، ومما يؤيد ذلك أن الله –تعالى– ذكر لفظ الدين في أول الآية وفي آخرها، فدين الإسلام هو الدين الحق، وهو الدين القيم، وهو الدين الحنيف.

قال أبو العباس القرطبي (ت:٦٥٦) في المفهم: «وقد خَلَق الله قلوبَ بني آدم مؤهلةً لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلةً للمرئيات والمسموعات فمادامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو دين الحق»[٥].

فتبيَّن بهذا العرض والاستدلال أن الفطرة الواردة في الآية والحديث، هي بمعنى الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ديناً وشرعاً.

قال البغوي (ت:٥١٦): ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم، الآية: ٣٠]، أي خلق الناس عليها، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين، وهو الإسلام[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٤٩٣/١٨).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢٢/١٦)، وانظر زيادة تفصيل في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٥٧/٣).
(٣) انظر: بهجة قلوب الأبرار للسعدي (ص: ٥٩).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٨٥/٤).
(٥) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦٧٦/٦).
(٦) تفسير البغوي (٤٨٢/٣).

قال الحافظ ابن حجر (ت:٨٥٢): وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة... ثم قال: وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام[١].

فالإسلام شرعه الله لعباده ليكون رحمة وإحساناً لهم به تجتمع كلمتهم وعليه تتآلف قلوبهم ويتوحد صفهم، وبالانقياد لتعاليم الإسلام يحققون الخير لأنفسهم ومجتمعاتهم ويدفعون العوادي عنهم، وإذا التزم الإنسان دين الإسلام ظاهراً وباطناً واستقامت حياته على منهج الإسلام قولاً وعملاً، فسوف يسعد في حياته ويكون خيراً ممدوداً بين إخوانه، وبذلك يتحقق له الأمن بجميع صوره.

**المطلب الثالث: تكريم الله للإنسان وتفضيله على كثير من المخلوقات.**

كَرَّمَ الله الإنسان وخلَقَه في أحسن تقويم، كرمه الله – تعالى – بأنواع التكريم، فكرمه بالعقل والعلم، وميزه عن سائر الحيوان بالعقل الذي يميز به في حياته، والعلم الذي يوصله إلى الهدى وطريق الحق، كرمه بالنطق والبيان، كما قال – سبحانه –: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [سورة الرحمن، الآيتان:٣–٤].

وكَرَّمَهُ بأن خلقه في قامة سوية كما قال – جل ذكره –: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين، الآية:٤]، وكرمه بإرسال الرسل وإنزال الكتب ونعمة الإسلام وفي ذلك يقول الله – تعالى –: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة، الآية:٢١٣].

قال ابن جرير: ((حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود، أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمه، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين))[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٢٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٦٢١).

ومما منَّ الله به على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– أنه قال في حقه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء، الآية: ١٠٥].

وقال الله – تعالى –: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الزمر، الآية: ٤١].

وسخر الله للإنسان ما في السموات والأرض رحمةً به وإحساناً إليه وتفضلاً عليه، فقال – سبحانه –: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية، الآية: ١٣]. وقال –سبحانه –: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان، الآية: ٢٠].

فتكريم الله للإنسان محاط به من كل الوجوه، وأخبر الله عن ذلك التكريم في كتابه بأنه في غاية الوضوح في التكريم فقال – سبحانه –: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء، الآية: ٧٠].

ذكر الله في هذه الآية أنواعاً متعددة من النعم، وهي الأشياء التي فَضَّل الله بها الإنسان على غيره فذكر أربعة أنواع:

**النوع الأول:** تكريم الله لبني آدم بأنواع التكريم، وخصه على سائر الحيوان بالقوة العقلية، وشرفه بالعبودية، فكانت بذلك نفسُه أشرفَ نفوس هذا العالم، وبدنُه كذلك [1].

**النوع الثاني:** حَمَلَهم في البر والبحر، حيث سَخَّر الله لهم الدوابَ والمراكبَ في البر والبحر لتحملهم إلى مقاصدهم وغاياتهم ومطالبهم وتحقق لهم مكاسبهم في الحياة، ومكَّنهم الله من استخدامها فَلَم تَخسِف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء.

**النوع الثالث:** أمدهم الله بالأرزاق من الطيبات وهي الأغذية النافعة المفيدة مما أباحه الله من خيرات الأرض.

---

(١) انظر زيادة توضيح نظم الدرر للبقاعي (١١/ ٤٧٥).

**النوع الرابع**: تفضيلهم على كثير من المخلوقات، والمراد بالتفضيل جنس البشر على أجناس غيره ولا يلزم من ذلك تفضيل جنس أفراد البشر على الإطلاق[1].

وجاء في الآية لفظ التكريم ولفظ التفضيل، وهناك فرق بينهما أشار إليه الرازي في تفسيره إذ قال: «والأقربُ أن يقال أنه تعالى فَضَّل الإنسانَ على سائر الحيوانات بأمور خَلقية طبيعية ذاتية، مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثم أنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل»[2]، فدلت الآية على تكريم الله لبني آدم وإحسانه إليهم حيث كرمهم بجميع وجوه الإكرام.

قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كما قال – تعالى –: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين، الآية: ٤]، أي: يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، و يأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاد، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويُفَرق بين الأشياء ويَعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية»[3].

وتكريم الله لبني آدم في خَلقهم منذ خروجهم إلى الدنيا من تركيب أبدانهم وأرواحهم وعقولهم، وفي حياتهم بما مكنهم من أسباب السلطان على غيرهم من الخلق من عالم الجمادات والنباتات والحيوانات.

ثم سَخَّر لهم هذه العوالم ليحصلوا منها على منافعهم في حياتهم، فأوصل لهم خالقهم هذه النعم وكرمهم بها ورفع بها أقدارهم، ليقوموا بحقه ويستجيبوا لأمره ومن أعظم أوامر الله – تعالى – توحيده وإخلاص العبادة له، لأن هذا أمرُ الله لهم الوارد في مثل قوله – تعالى –: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة، الآية: ٥]، وقوله – جل ذكره –: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ

---

(١) انظر: تفصيل القول في المسألة في تفسير القرطبي (١٢٧/١٣)، وتفسير ابن كثير (٢١١١/٥).

(٢) تفسير الرازي (١٦/٢١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢١١٠/٥).

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام، الآية:١٠٢]، ثم يأتي بعد ذلك الفرائض المفروضة ثم التزود من النوافل والطاعات، ولزوم الأخلاق والفضائل، وحسن التعامل مع سائر الناس.

ومن التكريم والإنعام لبني آدم الذي فيه المنفعة والرفعة لهم، أن الله سخر لهم ما يركبونه في البر والبحر والجو ومكنهم، وعلَّمهم من أسباب تسييره والانتفاع به، وبَثَّ لهم ربهم على وجه الأرض أنواعاً من المآكل والمشارب اللذيذة المباحة من النباتات والحيوانات والجماد، فخلقها الله لهم صالحة لغذائهم، ومكنهم من أسباب تحصيلها وإصلاحها والتفنن فيها، فكان لهم بذلك زيادة في النعمة وفضل محقق لهم على كثير من المخلوقات.

قال الله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية، الآيتان:١٢-١٣]، وقال -جل ذكره-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم، الآيات:٣٢-٣٤].

"ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على عباده شيء عظيم مجمل ومفصل يدعوا الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه آناء الليل والنهار، كما أن نعمته تتكرر عليهم في جميع الأوقات"[1].

* * *

(١) تفسير السعدي (٤/ ١٤٤).

**المبحث الثاني:**

**عناية القرآن بالإنسان من حيث وصفه بالعبودية**

إن الغاية العظمى التي خلق الله الجن والإنس لها هي عبادته وتوحيده وإخلاص الدين له قال – جل ذكره –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية:٥٦]، وقال – سبحانه –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة، الآية:٢١]، وقال – تعالى –: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام، الآية:١٠٢]، وما بعث الله الرسل إلا للدعوة إلى تحقيق العبودية لله قال –جل ذكره –: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦]، وقال –سبحانه –: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء، الآية: ٢١]، وما أنزل الله الكتب على أنبيائه إلا لبيان معنى العبودية لله – تعالى –.

قال ابن القيم (ت:٧٥١): «أخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة، وكذلك إنما أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها ولا يخلقوا لمجرد الترك، فإنه أمر عدمي لا كمال فيه من حيث هو عدم، بخلاف امتثال المأمور فإنه أمر وجودي مطلوب الحصول»[(١)].

فالإنسان مخلوق لعبادة ربه والتذلل لأمره، وقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أنه قال في قوله – تعالى –: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً[(٢)].

فغاية ما خلق الله الإنسان له: «هي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، وذلك متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم»[(٣)].

---

(١) انظر: كتاب الفوائد لابن القيم (ص: ١٢٢).

(٢) تفسير ابن جرير (٢١/٥٥٤). وانظر: الدر المنثور (١٣/٦٨٨).

(٣) تفسير السعدي (٧/١٨١).

ووصْفُ الإنسان بأنه عبدٌ لله – تعالى – لأن الله هو الحق الذي يستحق العبادة، ويستحق نهاية الذل ونهاية الحب والخضوع، وكل الناس مأمورون بأن يصرفوا له سبحانه أنواع العبادة ولا يجعلوا لأحد حظاً ولا نصيباً منها بل يخلصوا لله فيها ويقصدوا بها وجهه – سبحانه –، كما قال – جل ذكره – : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة، الآية: ٥].

ومما يدل على شرف العبودية لله، أن الله – تعالى – وصف بها نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – في القرآن الكريم، في مواضع متعددة:

- فوصفه بالعبودية في أكمل أحواله، فقال في مقام الإسراء: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء، الآية: ١].
- ووصفه بها في مقام إنزال القرآن عليه في قوله – تعالى –: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾ [الفرقان، الآية: ١].
- ووصفه بها في مقام الدعوة فقال – سبحانه –: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾ [الجن، الآية: ١٩].
- ووصفه بها في مقام الوحي فقال – جل ذكره –: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ [النجم، الآية: ١٠].

والعبادة شاملة لجميع شرائع الدين في مسائل الاعتقاد، وفي أداء الفرائض والمحافظة عليها، وفي الأخلاق والسلوك وفي المعاملات، وفي كل أحوال العبد مقروناً بالإخلاص لله – تعالى – والمتابعة لرسوله – صلى الله عليه وسلم –، كما في قوله – سبحانه –: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام، الآيتان: ١٦٢–١٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨): «فالصلاةُ والزكاةُ والصيامُ والحجُ، وصدقُ الحديث، وأداءُ الأمانة، وبرُ الوالدين، وصلةُ الأرحام، والوفاءُ بالعهود، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، والجهادُ للكفار والمنافقين، والإحسانُ للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاءُ، والذكرُ، والقراءةُ وأمثالُ ذلك من العبادة»[1].

(١) انظر: العبودية (ص: ٢٣) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال أيضاً: وكذلك حبُّ الله ورسوله، وخشيةُ الله، والإنابةُ إليه، وإخلاصُ الدين له، والصبرُ لحكمه، والشكرُ لنعمه والرضا بقضائه، والتوكلُ عليه، والرجاءُ لرحمته، والخوفُ من عذابه، وأمثالُ ذلك من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له، والتي خلَق الخلق لها، كما قال الله – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وبهذا أرسل جميع الرسل.... إذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق، بل من أضلهم»[1].

وتحقيق العبد لعبودية ربه بكل معانيها وصورها هي مصدر أمان واستقرار له في حياته من حيث اطمئنان القلب، وسلامة الصدر، وراحة النفس، والرضا والقناعة والزهد والرغبة في الآخرة، فمَن حققها في نفسه حقق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) انظر: العبودية (ص: ١٩، ٦٠) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

## الفصل الثاني مقومات أمن الإنسان في القرآن الكريم

### المبحث الأول:

### طلب العلم

مما تستقيم به حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات سعيه في طلب العلم والتزود منه، وخاصة العلم الذي به يَعرفُ الإنسانُ كيف يعبد ربه الذي به قِوام حياته وسعادتهِ في الدنيا والآخرة.

وقد بين الله – تعالى – فضل العلم وشرفه في آيات كثيرة، كما في قوله – تعالى –: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [الزمر، الآية: ٩]، وقال – سبحانه –: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة، الآية: ١١]، وقال – تعالى –: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الرعد، الآية: ١٩]، والآيات في هذا الباب كثيرة.

لكن العلماء نبهوا إلى أن العلم منه ما هو واجبٌ تعلمه، ومنه ما هو كفائي. وأن الواجب تعلمه يتصل بمعرفة التوحيد وإخلاص العبادة لله، وكذلك معرفةُ العبادات الواجبة على العبد، وما عليه من الحقوق تجاه الآخرين، وما عدا ذلك فهو من فروض الكفاية.

قال البغوي (ت:٥١٦): «العلوم الشرعية قسمان: علم الأصول، وعلم الفروع، أما علم الأصول، فهو معرفة الله – سبحانه وتعالى – بالوحدانية والصفات، وتصديق الرسل، فعلى كل مكلف معرفته، ولا يَسع فيه التقليد لظهور آياته، ووضوح دلائله، قال الله – تعالى –: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد، الآية: ١٩]، وقال الله – تعالى –: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [فصلت، الآية: ٥٣]».

وأما علم الفروع، فهو علم الفقه ومعرفة أحكام الدين، فينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية.

أما فرض العين: فمثل علم الطهارة والصلاة والصوم، فعلى كل مكلف معرفته، وكذلك كلُ عبادة أوجبها الشرع على كل واحد، فعليه معرفة علمها، مثلُ علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه.

أما فرض الكفاية: فهو أن يتعلم ما يبلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا، فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه، عَصَوا جميعاً، وإذا قام واحدٌ منهم بتعلمه، فتعلَّمَه سقط الفرض عن الآخرين وعليهم

تقليده فيما يعن لهم من الحوادث، قال الله –تعالى–: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل، الآية: ٤٣][1].

ومما يدل على فضل العلم وشرفه وحاجة الناس إليه ما جاء في قوله –تعالى–: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة، الآية: ١٢٢].

قال الشيخ السعدي (ت:١٣٧٦): «ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصاً الفقه في الدين وأنه أهم الأمور وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه، فإن انتشار العلم عن العالِم من بركته وأجره الذي ينمي، وأما اقتصار العالِم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين عنه؟، وأي نتيجة نتجت من علمه؟، وغايته أن يموت فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً»[2].

وخص الله الفقه في الدين من العلوم كلها لأنه الشيء الأعظم الذي يحتاج إليه الناس، إذ لا يكون لهم أن يعرفوا شريعة ربهم وما أمرهم به من العبادة، ولا يكون لهم أن يعرفوا العبادات المفروضة عليهم، والآداب والأخلاق، وحسن التعامل في الحياة مع غيرهم إلا بالعلم والتعلم، وكذلك لا يمكن لهم معرفة الأنظمة والتعليمات إلا من خلال تعلمهم، و لذلك ينبغي أن يكون العلم ونشره هو الغرض الأول من تعليم المسلمين في أي زمان وأي مكان، وبدونه لا يستقيم أمرهم ولا تقوم حياتهم.

كما ينبغي أن يقترن الفهم بالعلم، وليس العلم فَحَسْب، لأن الدين لا يتلقى إلا بعلم مبني على الفهم ثم العمل به، إذ العمل هو ثمرة العلم، وهو الذي يتوصل به الإنسان إلى صحة العبادة وسلامتها من الزيادة أو النقص الذي يجر إلى البدع، لأن الذي جر الخوارج إلى الانحراف والضلال هو سوء الفهم وعدم الفهم الصحيح لنصوص الشرع فوقعوا في أعظم المخالفات وأكبر الكبائر،

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢٨٩).
(٢) تفسير السعدي (٣/ ٣١٤).

وقد حكم النبي –صلى الله عليه وسلم– بحصول الخيرية لمن يتلقى العلم بفهم صحيح، فقال فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث معاوية: «من يرد الله به خيراً يفقه»[1].

والفقه يعني الفهم الصحيح، فمن تلقى العلم من مصادره الأصيلة، وحصل له الفهم السليم لهذا العلم، كما كان عليه السلف الصالح فسوف يسعد به في حياته، ويأمن على نفسه وعلى مجتمعه، وبذلك يستطيع أن يتعامل مع كل الوقائع والأحداث والمستجدات التي تحصل في واقعه بعقل وحكمة وبمنهج شرعي، إما بردها لنصوص الشرع إن كان لديه العلم التام والمعرفة الصحيحة بذلك، أو رد ذلك بالرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه الذين لديهم العلم والفهم بنصوص الشرع، كما أخبر الله –تعالى– عن ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [التوبة، الآية: ١٢٢].

وما وقعت الفتن على مر التاريخ الإسلامي، واختل الأمن، وتفرقت جماعة المسلمين، ووقع بينهم الاختلاف المذموم، إلا بسبب سوء الفهم لنصوص الشرع وقلة الوعي والإدراك لما دلت عليه النصوص الشرعية، وما ظهرت الفرق والبدع والمذاهب المخالفة لمنهج السلف الصالح إلا بعدم الفهم الصحيح لهذه الأدلة، كما حصل لطائفة الخوارج والمعتزلة والقدرية ونحوهم، الذين يُحسِنون القول ويُسيئون العمل.

أما العالم الراسخ في العلم فإنه يَظهر ثباته في مواطن الفتن التي تموج بالشبه، وعند ورود الشبهات يميز باطلها وزيفها ببصره الثاقب وعقله الراجح وفهمه السديد.

قال ابن القيم: «فإن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قَدَحَت فيه شكاً، لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حَرسُ العلم وجيشهُ مغلولة مغلوبة»[2].

والإنسان لا يأمن على دينه ونفسه ومجتمعه إلا بالعلم الشرعي الصحيح الذي يدفع عنه الفتن ويحفظه من الشبهات والشهوات وظلمات الأهواء، وإذا لم يكن العلم موجوداً بين الناس غلب عليهم الجهل والتخبط والضلال، وحلَّ بهم الهلاك والدمار، فللعلم وللعلماء أثر كبير في حفظ الناس من الفتن ومن كل الشرور والمخاطر ودفع العذاب عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧١) ومسلم رقم (١٠٣٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

## المبحث الثاني:

## تحقيق الإيمان بأركانه

معرفة أصول الإيمان بأركانه أعظم المقومات لأمن الإنسان في حياته، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذه الخصال هي أصول الإيمان، وبها أجاب النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث جبريل المشهور، المتفق على صحته حين جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– على صورة رجل أعرابي وسأله عن الإسلام فأجابه وسأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

فمن حقق هذه الأصول الإيمانية العظيمة في قلبه وحياته فقد حصل له الأمن من جميع وجوهه، وقد أخبر الله عن ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ٨٢]،فدلت الآية على أن أهل الإيمان المحققين لأصوله، هم أهل الأمن من الخوف، والأمن من العذاب والفتنة والشقاء، وهم المهتدون إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يَلبسوا إيمانهم بظلم وهو الشرك ولا بمعاصي حصل لهم الأمن التام والهداية التامة، وقد فسر النبي –صلى الله عليه وسلم– الظلم في هذه الآية بأنه الشرك.

كما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام، الآية: ٨٢]، قلنا يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه، قال: ليس كما تقولون: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لأبنه:﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان، الآية: ١٣][2].

فقوله –تعالى–: ﴿لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ أي لهم لا لغيرهم.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري برقم (٥٠) و(٧٧٧)، ومسلم (٩)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٥١١/١).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٣٦٠)، ومسلم رقم (١٢٤).

قال ابن حجر: «يعني أن الذين هم أحق بالأمن هم الذين آمنوا»[1].

وقال الطاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣): «أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابت، وهو أبلغ من أن يقال: آمنون»[2].

وهذا الأمن المطلق الذي جعله الله – تعالى – لأهل الإيمان به، ووعد به وعداً صادقاً لا يخلف ما جاء في قوله – جل ذكره –: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور، الآية: ٥٥].

وجاء في القرآن الكريم – أيضاً – آيات كثيرة توضح أن الإيمان سببٌ لتحقيق الأمن بجميع أنواعه في حياة الإنسان، وأن المتصف به تحصل له الحياة الطيبة في حياته، ويحصل له من الأمان والطمأنينة بقدر تحقيقه لوصف الإيمان، ومن هذه الآيات: قوله – تعالى –: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه، الآية:١١٢]، وقول الله – جل ذكره –: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٨٤]، وقوله – تعالى –: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل، الآية: ٩٧].

والحياة الطيبة المذكورة في الآية: تعم الحياة في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال والسعادة والعمل الصالح وحلاوة الطاعة، وتكون في الآخرة وهي بالجزاء الأوفى على أعمال العبد الصالحة في الدنيا[3].

وجاء وصف الحياة بأنها «طيبة» منكراً وذلك لتعم كل ما يخطر ببال العبد المؤمن من طيب الحياة وسعادتها، وهذا من أعظم ما يحصل للعبد من الأمن في حياته، وكذلك قوله

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٣).

(٣) وهذا المعنى مروي عن السلف، انظر: زاد المسير (٤/ ٤٨٨).

–تعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد، الآية: ٢٨]. فقلبُ المؤمن يطمئن، وينشرح صدره، ويأمن على نفسه، إذا لازم ذِكر الله –تعالى–. وذكر الله –تعالى– في الآية شامل لقراءة القرآن ولذكر الله على الإطلاق[١].

قال البغوي: ((وتطمئن)) تسكن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك)[٢].

قال ابن القيم: ((ضمن الله لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين في الدارين.. ولابد لكل من عمل صالحاً أن حييه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله))[٣].

وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها، ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هدايةٌ ولا أمنٌ بل حظهم الضلال والشقاء[٤].

والإيمان يعني: ((التصديق الجازم والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله، ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان وأخلاقه وأعماله))[٥].

وإذا أطلق لفظ الإيمان في القرآن أو السنة فيراد به ما يراد بلفظ البر، وبلفظ التقوى، وبلفظ الصلاة، وبلفظ الصبر، وبلفظ الدين كله، وفُسِر البر بالإيمان، وفُسِر بالتقوى، وفُسِر بالعمل الذي يقرب إلى الله –تعالى–[٦] فتحقيق كل الأصول المتعلقة بالإيمان هو أصل الأمن الحاصل للإنسان بمعناه العام والشامل، ومن كان كذلك تراه آمناً مطمئناً في قلبه ونفسه، مستقراً في حياته ومجتمعه، كما وعد الله في قوله–سبحانه–: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/٣٢٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/١٧).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/١٧).

(٣) انظر: الجواب الكافي (ص: ١٨٦)، ومفتاح دار السعادة (١/١٨٢).

(٤) تفسير السعدي (٢/٤٢٥).

(٥) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص: ١٥).

(٦) انظر: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٧).

[الأنعام، الآية: ٨٢]، ومن لم يكن كذلك فيدخله من الرعب والخوف في قلبه بقدر بُعِده عن تحقيق الإيمان، فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً فإن الطاعة حِصْن الله الأعظم مَن دخله كان مِن الآمنين مِن عقوبة الدنيا والآخرة، ومَن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمَن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أماناً، ومَن عصاه انقلبت مآمِنه منه مخاوف فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر، إن حَرَّكَتِ الريحُ البابَ قال: جاء الطلب، وإن سَمِع وقْعَ قدم خاف أن يكون نذيراً بالعطب، يحسب كلَ صيحة عليه، وكلَ مكروه قاصداً إليه، فمَن خاف الله آمنه من كل شيء، ومن لم يَخفِ الله أخافه من كل شيء [1].

* * *

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص: ٩٩) ((الداء والدواء)).

**المبحث الثالث:**

**اجتناب الشرك بأنواعه**

أعظم المعاصي وأعظم المنكر عند الله الشرك، وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»[1].

قال أبو العباس القرطبي: «ومعناه، أن اتخاذ الإنسانِ إلهاً غيرَ خَالقه المنعم عليه، مع علمه بأنَّ ذلك المُتَّخذ ليس هو الذي خَلَقَه، ولا الذي أنعم عليه، مِن أقبح القبائح، وأعظم الجهالات، وعلى هذا فذلك أكبر الكبائر وأعظم العظائم»[2].

والشرك محبط للعمل موجب لدخول النار والخلود فيها، قال الله –تعالى–: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ٨٨]، وقال –جل ذكره–: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر، الآية: ٦٥].

قال ابن كثير: تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته.. وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع كقوله –تعالى–: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف، الآية: ٨١][3].

والآية جاءت في سياق صفوة البشر وهم الأنبياء، والمراد غيرهم لأنهم منزهون عن هذا «فإن كان هؤلاء الأنبياء، الصفوة والأخيار لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى»[4].

وكذلك أخبر الله –تعالى– عن إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٥–٣٦]، فإذا كان إبراهيم عليه السلام هو الذي حقق التوحيد وهو الذي وُصِف بأنه كان ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل، الآية: ١٢٠]، وهو الذي كَسَّر الأصنام بيده يخاف من الفتنة بها فمن يأمن البلاء بعده.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦١)، ولفظه («أيّ الذنب عند الله أكبر»)، ومسلم (٨٦).

(٢) المفهم فيما أشكل من تلخيص مسلم (١/٢٨٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/١٣٣٢)، وانظر: تفسير القرطبي (٣/٤٣٠).

(٤) تفسير السعدي (٢/٤٣٠).

وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم (ت:٣٢٧) عن إبراهيم التيمي (ت: ٩٢) قال: «من يأمن البلاء بعد قول إبراهيم عليه السلام ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾»[١].

وهذا يوجبُ اجتناب الشرك بجميع أنواعه، ويوجبُ الخوفَ الشديد من الشرك وظلماته، فمن صَفَّى دينه مِن شوائب الشركِ والبدعِ والمعاصي، فقد حقق التوحيد وأسعد نفسه في الدارين، ومَن حقق التوحيد كذلك فلابد أن يخاف من الشرك، والخوف من الشيء يجعل الإنسان بعيداً عنه وعن وسائله كل البعد.

ومن اجتنب الشرك وخاف منه استقام قلبه على طاعة، واستنار قلبه بنور التوحيد، وابتغى مرضات الله في كل أعماله، وإذا وقع في شيء من المخالفة أو العصيان، رجع وأناب واستغفر ربه وتاب، ومَن حقق التوحيد بإخلاص وخاف مِن الشرك أمِن في حياته، وقد أخبر الله عن تحقق الأمن بجميع صوره لمن حقق التوحيد وفَرَّ من الشرك في قوله –سبحانه–: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام، الآية: ٨٢]، ولأن الوقوع في الشرك له أثره السيئ على العبد في الدنيا والآخرة[٢].

وأعظم ما يتفضل الله به على عبده أن يغفر ذنبه ويستر عليه، فلا يعاقبه، أما الشرك إذا مات عليه العبد فإنه لا يدخل تحت المغفرة لقوله –تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء، الآية: ٤٨]، وذلك لعظم خطيئة الشرك؛ لأن المشرك أتى بأعظم الظلم في حق خالقه.

قال ابن كثير: أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك ثم ساق الأحاديث المتعلقة بهذه المسألة[٣]، أما ما دون الشرك من المعاصي فإنه داخل في المغفرة تحت مشيئة الله، دل على ذلك قوله –تعالى–: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء، الآية: ٤٨].

وفي سورة المائدة حَكَم الله –تعالى– على أن الجنة محرمةٌ على مَن مات على الشرك بالله –تعالى– في قوله –جل ذكره–: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة، الآية: ٧٢].

---

(١) انظر: الدر المنثور (١٦٠/٤).

(٢) تقدم الكلام على هذه بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الأول: عناية القرآن بالإنسان من حيث وصفه بالعبودية.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤١/٢).

قال ابن كثير: أي وماله عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه[1]. فلا يطلب السلامة ولا ينشد الأمن، ولا يحصل على الفوز والكرامة، ولا ينال دخول الجنة، إلا من اجتنب الشرك بجميع أنواعه، وصفى دينه وعقيدته من كل شوائبه، وحقق التوحيد الخالص لله تعالى.

وما انتزع الأمن من واقع كثير من الناس والمجتمعات إلا ببعدهم عن تحقيق التوحيد الخالص لله ووقوعهم في أنواع الشرك، فظهرت فيهم مظاهر الشرك الأكبر ووقعوا في الفرقة والخلاف، وشاعت فيهم الفتن، وخافوا من غير الله، قال الله –تعالى–: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء، الآية: ٦٦–٦٨].

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢١٠).

**المبحث الرابع:**

**إقامة الحدود الشرعية**

إن شريعة الإسلام جاءت لما فيه صلاح الناس في العاجل والآجل، ومِن ذلك ما شرعه الله تعالى لعباده من أحكام في إقامة الحدود الشرعية، وتطبيق العقوبات على الجناة التي جعلها الله تعالى الميزان العادل في الإسلام، والنظام الكامل لمصالح الناس، لما في إقامتها من زجرٍ للمجرمين، وردعٍ لتطلعاتهم الشريرة إلى الاعتداء على الآخرين، وقد جاء الإسلام بالمحافظة على الضرورات الخمس التي يرتكز عليها بناء المجتمع وصلاحه، وهي ((الدين، والعقل والعرض والمال، والنفس)).

وإذا حفظت هذه الضرورات الخمس، بقيت الأمة على أساس متين من القوة والمنعة والأمن والأمان والسلم والسلام.

ومَن أمعن النظر في كتاب الله – تعالى – وفي سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – يرى أن ما جاء في هذين المصدرين تفصيلاً كاملاً ودقيقاً لأحكام الحدود ببيان أصولها وفروعها وجزئياتها بياناً كافياً وشافياً وآفياً، بيَّن ذلك العلماء وفسروه واستنبطوا منه الأحكام، واتفقوا فيما جاء نصاً جلياً لا يقبل التأويل، واختلفوا في بعضها الذي جاء دليله موضع الاجتهاد، وذلك رحمة من الله – تعالى – بعباده ، ومن هنا فإن الله – عز وجل – قد شرع لعباده ما يحفظ هذه الضرورات الخمس، وجعل لها أحكاماً تكفل بقائها وصيانتها، فأوجب الله – تعالى – حفظ الحياة وحرم التعدي عليها بأي شكل من الأشكال، وأخبر الله عن ذلك في آيات كثيرة من كتابه منها:

قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقوله – جل ذكره –: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء:٢٩]، وقوله – سبحانه –: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣]، فكل نفس معصومة حرم الإسلام الاعتداء عليها، سواء كانت نفسَ مسلم أو غير مسلم.

وأوجب الله حفظ الأموال وحرم الاعتداء عليها، وشرع ما يزجر المعتدي عن اعتدائه، ويحمي الحياة والأموال فقال – سبحانه –: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم

بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، وقال –جل شأنه–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء:٢٩].

وشرع الله القصاص في النفس وما دون النفس لمن يعتدي على حياة غيره عمداً وعدواناً، فقال –تعالى–: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وجعل في إقامة هذا الحد الحياة الحقيقية للمجتمع فقال –جل ذكره–: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

وشرع الله حد السرقة لمن يعتدي على مال غيره بدون شبهة، وشرع حد الزاني المحصن وغير المحصن، وشرع حد القذف، وحد شرب الخمر، وحد الحرابة، والبغي، والردة، وكل هذه الحدود جاءت مبينة في كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، وأحكامها وتفاصيلها وشروطها مبنية في كتب الفقه المطولة.

**الحكمة من مشروعية إقامة الحدود:**

**أولاً:** أن هذا التشريع المحكم قد حَمَى الفرد والجماعة، ويَسَّر للجميع ما يؤمن حياته، لأنه لا يمكن أن تستقر حياة الناس ما لم يكونوا آمنين على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم، فإذا أقيمت الحدود الشرعية أمِن الناس وانزجر الشذاذ منهم، وكان لهم في تطبيق الحكم ما يردع تطلعاتهم في الاعتداء على الناس؛ لأن هذا هو حكم الله العليم بأحوال عباده وما يصلحهم، مما يتعين اتباعه والعمل به: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

**ثانياً:** في إقامة الحدود بين الناس استجابةٌ لأمر الله وطاعته كما أمر في قوله –سبحانه–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال:٢٤].

**ثالثاً:** أن إقامة الحدود تعود على الأمة بالأمن والطمأنينة، وتحفظ الدماء وتحقنها من أن تسفك، وتمنع الحياة من أن تهدر، وتصون الأعراض من أن تنتهك، والأنساب أن تختلط،

والأموال أن تضيع أو تؤكل بالباطل، والعقود أن تختل أو تعتل، والدين أن يتخذ سخرية وهزوا[1].

**رابعاً**: ومن حكمة مشروعية الحدود بين الناس أنها تبعث في المجتمع الطمأنينة وتحقق العدل والإنصاف، وتزيل الحقد والكراهية، ويَعرف كل واحد حقه وتمنع وقوع الجرائم، ولهذا قرن الله تعالى أحكام الحدود في كتابه بالترغيب والترهيب في خواتيم الآيات الواردة فيها، والتذكير بما يؤل إليه حال مرتكب الجريمة من الخزي والعار في الدنيا والآخرة، مما جعل تنفيذها وإقامتها من أهم وسائل الأمن في الحياة، ولذلك شدد الشارع الحكيم في إقامة الحدود، وحرم الشفاعة فيها إذا بلغت الحاكم[2] فقد غضب النبي –صلى الله عليه وسلم– على من جاء إليه ليشفع في شأن المرأة المخزومية، فقال –صلى الله عليه وسلم– : «أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم إنهم كانوا إذا سرق منهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[3].

خامساً: أن في إقامة الحدود تحقيقاً لمصالح نافعة تعود على الناس في الدار الآخرة من رضوان الله ومثوبته، وخير ما يتوصل به إلى ذلك هو طاعته وعبادته والانقياد لأمره.

* * *

(١) انظر: الحدود الشرعية وأثرها في تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع، د. الغزالي خليل عبيد بتصرف.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (٥/ ٧٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨) من حديث عائشة –رضي الله عنها– واللفظ لمسلم.

**المبحث الخامس:**

**أداء الفرائض في الإسلام**

لقد فرض الله – تعالى – على عباده الفرائض، وجعلها واجبة عليهم يؤديها كلٌ منهم حسب قدرته واستطاعته، وجعل الله لهذه الفرائض أثراً ظاهراً واضحاً في استقامة المسلم على أوامر الله – تعالى – واجتنابه لنواهيه، كما جعلها الله – تعالى – سبباً في حفظ أمن الناس واستقرارهم وبعدهم عن المنكرات والجرائم، كما جعلها الله – تعالى – كذلك طريقاً عملياً وتطبيقاً ظاهراً لوحدة المسلمين يتحقق من خلال هذه الوحدة التضامن والتعاون والتراحم بين المسلمين، ليكونوا كالجسد الواحد، عملاً بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) (١).

قال القرطبي في المفهم: ((تمثيل يُفيد الحض على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لابد منه، فإن البناء لا يتم أمره، ولا تحصل فائدته إلا أن يكون بعضه يمسك بعضاً ويُقويه، فإن لم يكن كذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه، وكذلك المؤمن لا يستقل بأمور دنياه ودينه إلا بمعرفة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضادة، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين، ويلتحق بالهالكين)) (٢).

وإذا قام المجتمع المسلم بهذه الفرائض بإخلاص واتباع لهدي النبي – صلى الله عليه وسلم – ساد بينهم الأمن والطمأنينة، فلا يعتدي أحد على أحد لأن الجميع صار كالجسد الواحد.

ومن أهم هذه الفرائض القيام بالصلاة والمحافظة على أوقاتها مع جماعة المسلمين في المساجد لقوله قوله – تعالى –: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨]، وقوله – جل ذكره –: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [النساء:١٠٣]، وقوله – سبحانه –: ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣]، وبذلك تقوي صلة المسلمين فيما بينهم وتتعمق معاني الأخوة في جسد الأمة، وبذلك يظهر

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٧)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث النعمان بن بشير.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٥٦٥).

أثرها العظيم في واقع حياتهم من المحافظة على الفضائل والبعد عن الرذائل والتسابق إلى فعل الخير وترك المنكرات، كما أخبر الله عن ذلك بقوله- تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال ابن كثير: ((يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك))[1].

قال السعدي: ((فالفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس، والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر، ووجه كون الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها، والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهي عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها)).

ثم فريضة الزكاة فإنها قرنية الصلاة فيها تكافل المجتمع والعطف والتراحم بين الغني والفقير، واجتماع الناس وتوحيد صفهم، وعطف بعضهم على بعض، فيحصل بذلك الحب والتآلف والتعاون فضلاً عن أنها فريضة وحق أوجبه الله – تعالى – للفقير في مال الغني، والله – تعالى – يقول: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فإخراج الزكاة كما أمر الله – تعالى – تطهر صاحبها من الذنوب والأخلاق الرذيلة، وتزيد في أخلاقه الحسنة وأعماله الصالحة، وتنمي ماله وتجعل فيه البركة.

ثم فريضة الصيام التي تغرس معاني الوحدة بين المسلمين، حيث يُمسكُ المسلمون في وقت واحد عن الطعام والشراب، وجَعل الله تعالى ((التقوى)) أعظم حكمة في الصيام، التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فقد ختم الله أول آية في الصيام بالتقوى في قوله – سبحانه –: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وختم آخر آية

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٢١٩٧).

في الصيام بقوله – تعالى –: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٧]، وذلك ليحقق المسلم كل معاني التقوى في قيامه لهذه العبادة.

ثم فريضة الحج الذي يعد أعظمَ وأكبرَ اجتماع في الدنيا، يجتمع فيه كثير من المسلمين من مختلف الأقطار ليجتمعوا على غاية واحدة وهدف واحد وهو تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله في كل منسك من المناسك.

كل هذه المعاني والدلالات من أعظم المقاصد في تشريع هذه الفرائض بين المسلمين ومن شأنها أن تجلب لهم الأمن والأمان، ورغد العيش والاطمئنان في كل الأقطار الإسلامية ليقوموا بما أوجب الله عليهم، ويعمروا الحياة كما أراد الله بالخير والتعاون والبر والتقوى.

وهناك واجبات بينية بين فئات المجتمع، تجمع شملهم، وتقوي أواصر المحبة والألفة بينهم، وتجعلهم لحمة واحدة كالجسد الواحد والبنيان المتماسك، وهي واجبات متعددة منها بر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الجار، وطاعة الزوجة لزوجها بالمعروف، وهذه المعاني لا تكون واقعة في المجتمع على وجهها الأكمل إلا بالقيام بالفرائض في الإسلام التي تقدم ذكرها، وهي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج؛ لأن أثر هذه العبادات يظهر في سلوك المسلم وواقعه وتعامله حينما يستقيم على أدائها، فإنه حينئذ سيقوم بالواجبات التي بينه وبين غيره من أرحامه وغيرهم، وهذه من أعظم مقومات الأمن في حياة الناس.

* * *

**المبحث السادس:**

**الاقتداء والاتباع ولزوم هدى النبي –صلى الله عليه وسلم– وترك مخالفته**

**الاقتداء:** افتعال من القدوة – بضم القاف وكسرها – وقياسه على الأسوة والقدوة والقدوة اسم للاقتداء الذي هو الاتباع، غير أن القدوة أن يعملَ غيره مثل عمله، والاتباع هو الامتثال لما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– واتباعه فيما أمر به[1].

وقد أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، جاء ذلك في حديث العرباض بن سارية –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يَعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعه، وإن كل بدعة ضلاله»[2].

وقد أمر الله بذلك في قوله – تعالى –: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب، الآية: ٢١]، وقال – جل ذكره –: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر، الآية: ٧].

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– هو القدوة الحسنة لكل المسلمين فيما أمره الله أن يبلغه لعباده، وهو في هذا الأمر من الله واجب الاتباع لقوله – تعالى –: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٨]، فعلق ربنا جل وعلا حصول الهداية للإنسان بحصول اتباعه لهذا النبي المرسل.

قال ابن كثير: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ أي اسلكوا طريقه واقتفوا أثره، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي إلى الصراط المستقيم[3]، وفي هذا دليل على «أنه يجب الانقياد له في كل أمر ونهي، ويجب

---

(١) مفردات الراغب (ص:١٨)، وعمدة الحفاظ (١٠١/١، ٢٩٢)، (٣٣٦/٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧/٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه (٤٣)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٨٦)، وأخرجه البغوي في شرح السنة (١٠٢)، وحسنه، وينظر تفصيل الكلام في تخريج الحديث في مسند الإمام أحمد (٣٦٧/٢٨– ٣٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤٩٦/٤).

الاقتداء به في كل ما فعله إلا ما خصه الدليل، وهو الأشياء التي ثبت بالدليل المنفصل أنها من خواص الرسول»[1].

ونظير هذه الآية قوله –تعالى–: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١]، فمحبة العبد لله ولرسوله هي طاعته لله ولرسوله واتباعه لأمر الله و أمر رسوله، ومن كان كذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنبه وشرح له صدره وستر عليه عيوبه.

ومن ذلك قوله –تعالى–: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ﴾ [النور، الآية: ٥٤]، وهذه الهداية هي الهداية إلى الصراط المستقيم قولاً وعملاً.

وفي الآيات المتقدمة في الحث على الاتباع والطاعة جعل الله ثمرة ذلك الهداية إلى الصراط المستقيم، وجاء ذكر الهداية كذلك في جانب حصول الأمن في قوله –تعالى–: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام، الآية: ٨٢].

وأعظم الهداية التوفيق لسلوك الصراط المستقيم، ففي ذلك العصمة من كل المخاوف والشرور، كما أخبر الله –تعالى– عن ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران، الآية: ١٠١]، ولا سبيل إلى حصول الهداية إلا بطاعة الله وطاعة رسوله واتباعه والاقتداء به وبدون ذلك لا يمكن حصولها.

فإذا حقق الناس الاقتداء والاتباع على الوجه الصحيح، اهتدوا إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، وتحقق لهم الأمن في حياتهم وصَلَح أمرهم، واجتمعت كلمتهم، وتآلفت قلوبهم، وجعل الله لهم مهابةً في عيون أعدائهم، وإذا تركوا ذلك ضلوا وانحرفوا ووقعوا في ظلمات الشرور والفتن؛ لأن الله –تعالى– قد أخبر عن الأثر السيئ المترتب على المخالفة وترك الاتباع في قوله: –سبحانه–: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور، الآية: ٦٣].

قال ابن كثير: «أي عن أمر رسول الله وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، فليحذر وليخش مَن خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ

(١) تفسير الرازي (١٥/٣٠).

فِتْنَةٌ﴾، أي في قلوبهم مِن كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي في الدنيا، بقتلٍ أو حدٍ أو حبسٍ أو نحو ذلك»[1].

والحذر هو تجنب الشيء المخيف الذي هو حصول الفتنة، واستحقاق العذاب على المخالفة، فرتب الله أمرين خطيرين الأول: إصابة الفتنة، وهي: اضطرابُ أحوال الناس، واستبدالُ أمنهم خوفاً، وتفرقُ كلمتهم، وتسلطُ الأعداء عليهم، ومصائبُ وعقوبات متتابعة تحل بهم،والثاني: العذاب الأليم، هو عذاب الدنيا، وهو عذاب القتل وقيل عذاب الآخرة.

ومما يخالف الاقتداء والاتباع وجود البدع بين الناس ووقوعهم فيها، فإذا انتشرت البدع وكثر دعاتها، أضعفت جانب الاتباع والاقتداء بالمنهج النبوي، وكل ما عارض السنة من الأقوال والأفعال أو العقائد أو كان عن اجتهاد من غير دليل فهو من البدع المنصوص على ضلالتها من الشارع الحكيم، لأن الله – تعالى – قد أخبر أن الشريعة قد كملت وتمت، ورضيها الله – تعالى – لعباده في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣]، وكذلك قوله – تعالى – : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام، الآية: ١١٥]؛ ولأن الزيادة في الشريعة أو النقص فيها يعدُ استدراكاً على الله في حكمه، ويُوحي بأن الشريعةَ ناقصةٌ، وهذا يخالف الاقتداء والاتباع الذي ورد الأمر به في القرآن.

فالناس لا يأمنون على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وبلادهم إلا في الاتباع واقتفاء أثر النبوة، لأن الشريعة جاءت بكل خير يحقق المصالح للعباد وناهية عن كل شر يُفسد الأحوال، وقد ذم الله البدع وأهلها فَمِن ذلك قوله – سبحانه –:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام، الآية: ١٥٣]، وقال – جل ذكره –: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى، الآية: ٢١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٣٦).

فسداد الأمر يكون في لزوم المنهج النبوي والوقوف عندما جاءت به السنة، واتباع ما أمر به النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهذا هو الواجب على الإنسان في دينه، ليأمن على نفسه ويأمن مع مجتمعه في حياة مستقرة وآمنة.

* * *

**المبحث السابع:**

**الاجتماع والسمع والطاعة**

اجتماع المسلمين على كلمة واحدة وقلوب متآلفة مقصد عظيم من مقاصد الإسلام، وفي القرآن الكريم أمرٌ بهذا وتأكيدٌ عليه لما فيه من المصالح الراجحة، ومن ذلك قوله –تعالى–: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وفي هذه الآية حثٌ على لزوم الاجتماع على الدين وترك التفرق في الدين.

وفَسَّر السلفُ من الصحابة والتابعين، حبلَ الله بأنه القرآن وأنه الجماعة، وأنه دين الله، وأنه عهد الله، وأنه الإسلام[1].

وهذا تفسير بالنظير أو بالمثال وكلها بمعنى واحد، قال القرطبي: «والمعنى كله متقارب متداخل، فإن الله يأمر بالألفة، وينهي عن الفرقة فإن الفرقة هلكه، والجماعة نجاة»[2].

والاعتصام بالقرآن هو التمسك به والاجتماع عليه قال ابن القيم: «والاعتصام: افتعال من العِصمة وهو التمسك بما يعصمك، ويمنعك من المحذور والمخوف.. ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين»، فأما الاعتصام بحبله فإنه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة.

فالاعتصامُ بحبل الله: يوجب الهدايةَ واتباعَ الدليل، والاعتصامُ بالله يوجب القوةَ والعدةَ والسلاح والمادة[3].

فاجتماع المسلمين على كتاب الله يُعد عصمةً لهم مِن كل الشرور، وبه يتماسك بنيانهم وتقوى شوكتهم ويهابهم عدوهم، وكلُ مجتمع يجتمع على شرع الله ويستجيب لأمره وأمرِ رسوله –صلى الله عليه وسلم–، يصيرون كالجسد الواحد كل إنسان يخشى

---

(١) تفسير الطبري (٥/٦٣٤)، وزاد المسير (١/٤٣٢)، والدر المنثور (٢/٢٨٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٤٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/٥٠).

الله في أخيه لا يعتدي عليه لا على ماله ولا على عرضه ولا على دمه لأنهم اجتمعوا على ما يعصمهم من الأخطار والمهالك [1].

ومما يوجب اجتماع المسلمين على دين الله أن الله – تعالى – نَهى عن التفرق في الدين في آيات أخر من كتابه، كقوله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقوله – جل ذكره –: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله – سبحانه –: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وأكد النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذا المعنى في أحاديث كثيرة ورد فيها النهي عن مفارقة الجماعة، وبيان عاقبة مَن يقع في ذلك، منها حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية)) [2].

وحديث أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)) [3].

أما السمع والطاعة فقد اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة بالمعروف لولي الأمر وجعلوه أصلاً من أصولهم ودونوه في كتبهم في مسائل الاعتقاد، وفهموا ذلك من نصوص الشريعة في الكتاب والسنة، وقد أخبر الله – تعالى – أن ذلك من مقتضيات الأيمان به في قوله – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وهذه الآية أصل في هذا الباب.

وفي تفسير ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ قولان مشهوران للسلف من الصحابة والتابعين:

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين لسورة آل عمران (٢/٦٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في ((مسنده)) (٥/١٨٠)، وأبو داود (٤٧٥٨).

**القول الأول**: أنهم الأمراء، وهو قول أبي هريرة –رضي الله عنه– وابنِ عباس وابن زيد والسدي ومقاتل وآخرون.

**القول الثاني**: أنهم العلماء وهو قول جابر بن عبد الله ومجاهد والحسن وعطاء وآخرون[1]، قال ابن كثير: والأولى أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء[2].

وقال ابن العربي (ت:٥٤٣): «والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعاً، أما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتثال فتواهم واجب»[3].

وطاعة ولاة الأمر لا تجب استقلالاً ولا مطلقاً، وإنما تكون تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله، وتكون الطاعة لهم بالمعروف، ولهذا حُذف العامل، وهو لفظ الطاعة في قوله –جل ذكره–: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء، الآية: ٥٩]، لأن طاعتهم تابعة لطاعة وطاعة رسوله.

قال السعدي: «أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وأمرَ بطاعة أولي الأمر، وهم الولاة على الناس، من الأمراء والحكام، والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس، أمرُ دينهم، ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،ولعل هذه هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه، فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر، فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية»[4].

وقد تضافرت نصوص السنة النبوية وتتابعت الأحاديث تبيين هذا الأصل بأوضح بيان، ووضعت له أصولاً ينطلق منها، فقد أوجب النبي –صلى الله عليه وسلم– على كل مسلم أن يَسمعَ ويطيع لمن ولاه الله أمره في غير معصية الله في كل الأحوال والأزمان، ففي صحح

---

(١) تفسير الطبري (١٧٠/٧) والمحرر الوجيز لابن عطية (١١٠/٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٦/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٥٧/٢)، وانظر: فتح الباري (٢٥٤/٨).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤٥٢/١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٨/٢).

البخاري عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[1].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2].

وفي الصحيحين أيضاً من حديث عبادة ابن الصامت –رضي الله عنه– قال: «دعانا النبي –صلى الله عليه وسلم– فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعُسرنا ويُسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»[3].

قال ابن حجر: «أي في حال نشاطنا وفي الحالة التي نكون فيها عاجزين عن العمل بما نؤمر به.. والمراد أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا تتوقف على إيصالهم حقوقهم بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم»[4].

«والأثرة» بفتح الهمزة والثاء وظاهرها الاختصاص بحظٍ دنيوي أراد أنه يستأثر عليكم، فيفضل غيركم في نصيبه، ومعنى ذلك تجب طاعته[5].

ولست هنا باستعراض الأحاديث الواردة في السمع والطاعة، فهي أكثر من أن تحصر، مما يدل على أهمية هذا الأمر ومكانته في الشريعة وتعظيم الإسلام له، لما فيه من سعادة الناس في دنياهم وانتظام مصالحهم واستتباب الأمن في ديارهم، ولأن اجتماع المسلمين واستقرارهم، ووجود الأمن بينهم مقصد من مقاصد هذا الدين الحنيف، ليظهر دين الله ويقومَ العباد بما أوجب الله عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٤) انظر: فتح الباري (٧/١٣).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٢/١)، وفتح الباري (٧/١٣).

ولأن التمرد على ولي الأمر والدعوة إلى عصيانه، يعد معصيةً لله ولرسوله ومخالفةً لأمرهما، ويَحدث منه فتن عظيمة من تمزيق لأحوال المسلمين وإزهاق أرواحهم وتهديد أمنهم ومعاشهم، وتربص الأعداء بهم، وتعكير استقرارهم ونشر الرعب بينهم.

ولكن ينبغي أن يسودَ بين المسلمين حكاماً ومحكومين التعاونُ على البر والتقوى وبذلُ النصح والتناصح والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وفق منهج الإسلام وضوابط الشريعة.

* * *

**المبحث الثامن:**

**تحقيق الأخلاق الإسلامية**

القرآن الكريم هو ينبوع الأخلاق الكريمة وأساسها الأول، فإذا كان الله – تعالى – قد جعل القرآن الكريم مصدراً للتشريع في المسائل الاعتقادية وأمور العبادات والمعاملات، وجعله أيضاً كتاب عبر وعظات، فإنه كذلك يشتمل على الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، وقد تحدث القرآن الكريم عن مكارم الأخلاق ومحامد الخصال حديث الموجز البين الواضح، في أسلوب يتلقاه كل مسلم للعمل به مصحوباً بالترغيب والترهيب، وهذا يشير إليه قول الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

ومن قرأ القرآن بتدبر وتأمل لآياته فسيجد أن كتاب الله – تعالى – عَرضَ أصولَ الأخلاقِ الكريمة التي يُريد الله – تعالى – لعباده أن يتحلوا بها، ويطبقوها واقعاً فيما بينهم، ليكون المسلم فرداً صالحاً في مجتمعه، يسمو بنفسه إلى كل فضيلة، ويرقى بحياته إلى كل كمال، ويستجيب لداعي الأخلاق بالعقل والحكمة، أكثر مما يستجيب لذلك بالحماس والعاطفة .

والقرآن الكريم هو كتابة هداية وإعجاز، ومادام كذلك فليس فيه حديث مُفصل عن كل صغيرة وكبيرة تتصل بالأخلاق، وإنما هَدَى إلى علامات تُضيء للإنسان الطريق، وإشاراتٍ ترشده إلى سواء السبيل، وحينما يتدبر المسلم آيات القرآن العظيم مستوحياً منها كيف يتخلق بهذه الأخلاق فسيجد أن بعض الآيات على وجازتها وقلة كلماتها جاءت بأعظم المفاهيم وأقوى المضامين في بيان منهج الأخلاق، مِثلُ قوله – تعالى –: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال القرطبي: هذه الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعدَ الشريعة في المأمورات والمنهيات. فقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، وغيرُ ذلك من أخلاق المطيعين، ودخلَ في قوله: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ صلةُ الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام، وغضُ الأبصار، والاستعدادُ لدار القرار، وفي قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الحضُ على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الجهل،

والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة[1].

وبمثل قوله -جل ذكره-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن مسعود أنه قال: «هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل، ولشر يجتنب»[2].

وقال قتادة: «ليس من خُلق حَسَن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرون بينهم إلا نهى الله عنه وقدمَّ فيه، وإنما نهى عن سَفاسِف الأخلاق ومذامها»[3].

وقوله -تعالى-: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣]، وقوله -سبحانه-: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وجاءت آيات أُخَر في القرآن الكريم فيها توسع في الحديث عن الأخلاق وتأكيدٌ عليها وحثٌ على التخلق بها، كالحث على لزوم التقوى والصبر والعدل والعفو والصدق والإيثار والشكر والرحمة والثبات والتوبة والمحبة والإنابة، إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة.

ومما يَستدعِي التوقفَ عند أكثر الآيات التي جاء التأكيد في الحث عليها أنها منطلقة من الإيمان بالله فللأخلاق صِلةٌ وارتباطٌ وثيق بالإيمان والعقيدة، وأكثر الآيات الدالة على التحلي بالأخلاق تُصَدَّر بلفظ النداء بوصف الإيمان، ففي الحث على الصدق يقول الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وفي الحث على الصبر يقول -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

---

(١) تفسير القرطبي (٤١٨/٢)، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٨٢٦/٢).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٧/١٤)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٨٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (٣٣٧/١٤).

وفي الحث على الوفاء بالعهد يقول –جل ذكره –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة:١]، وهكذا في أغلب الآيات الدالة على التحلي بالأخلاق تكون مُصَدَّرةً بالنداء لأهل الإيمان، مما يدل على أن امتثالها دليل على مقتضى كمال الإيمان، والتساهل فيها وترك العمل بها دليل على ضعف الإيمان.

فلزوم الأخلاق والتحلي بها وجعلها سجية وطبعاً في تعامل الإنسان مع غيره سببٌ لزيادة الإيمان ولقوة الدين والثبات عليه، ولهذا جاءت سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– حافلة في الحث على الأخلاق، مبينة لما جاء في القرآن، ومفسرة له ومؤكدة عليه، ولا عَجَبَ في ذلك فالنبي –صلى الله عليه وسلم– هو القدوة المثلى لكل مسلم في التحلي بأخلاقه وفضائله، وقد أثنى عليه ربه وشهد له بذلك في كتابه في قوله –جل ذكره –: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤].

وبعد هذا فإن للأخلاق بين المسلمين أثراً في تآلف قلوبهم، واجتماع كلمتهم وتماسك بنيانهم، وهذا مما يُقوِي جانب المودة والمحبة والتواصل والتعاون بينهم، ويدرأ عنهم الفرقة والخلاف والشرور والآثام، ويحقق لهم الأمن والاستقرار في أوطانهم.

* * *

**المبحث التاسع:**

**القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**

شرع الله شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعباده، لتصلحَ أحوالهم وتستقيمَ به أمورهم، وجعلَ هذه الشعيرةَ مِن أهم القضايا في ضبط المجتمع من المخالفات الشرعية، وأنه سفينة النجاةِ وسُلم الوصول إلى تحقيق الأمن في المجتمع، وبين الله تعالى منزلة هذه الشعيرة في القرآن العظيم، كما بين حاجة المجتمع إلى التعاون والتناصح فيما بينهم، والتواصي بالحق والصبر عليه، وفق الضوابط الشرعية، ولأن في إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس يحصل لهم الأمن والأمان، ويتحقق لهم الخير والاستقرار، وبتركه يحل الخوف وتنزل الفتن وينتشر الفساد في الأرض.

وأصلُ المعروف هو توحيد الله –تعالى– وإخلاص العبادة له، وهذا هو أعظم معروفُ يؤمر به، وأصل المنكر الشركُ بالله وعبادةُ غيره، وهو أعظم منكر يُنهَى عنه[1]، وقد بعث الله جميع الرسل للدعوة إلى توحيده الذي هو أعظم المعروف، والنهي عن الشرك بالله الذي هو أعظم المنكر، فقال –جل ذكره–: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وتتابعت آيات القرآن الكريم موضحة فضلَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يترتب عليه من المصالح والمنافع والثمرات العظيمة للعباد، حيث أمرهم بتتميم هدايتهم في قوله –جل ذكره–: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال –تعالى– بعدها: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وجعل قيامَهم بذلك هو السبب الأقوى الذي يتمكنون به من إقامة دينهم، بأن يتصدى منهم طائفةٌ يحصل بهم الكفاية في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والدعوة إلى الخير شاملةٌ لكل معالم الدين في أصوله وفروعه وشرائعه، والأمرُ بالمعروف، هو كل ما عُرف حُسنه شرعاً وعقلاً، والنهي عن المنكر هو ما عُرف قُبحه شرعاً وعقلاً، ثم ختم الله الآية بثمرة ذلك العمل وهو حصول الفلاح الذي يعني إدراك

---

(١) تقدم مثله في بداية المبحث الثالث.

كلِ مطلوب والنجاةُ من كل مرهوب، وكلُ مَن دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة[1].

ودلت الآية على أنه يجب على الأمة أن تُخصص جماعةً منها للقيام بالدعوة إلى الله، والعمل على إظهار شعيرة الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا هو الحاصل في المملكة العربية السعودية حيث يوجد فيها مؤسسةٌ حكومية تقوم بهذا الواجب الديني باسم ((الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) إلى جانب مؤسسات حكومية أخرى تقوم بدور الدعوة والإرشاد والإفتاء تَلقَى الدعمَ والمساندةَ والمؤازرةَ مِن لدن القيادة الحكيمة في المملكة العربية السعودية.

وهذا لا يُعفي سائرَ أفرادِ الأمةِ من القيام بهذا الواجب العظيم، كل بحسب طاقته وقدرته وفق المنهج الشرعي، كما جاء في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وإذا كان جِماع الدين وجميعُ الولايات هو أمر ونهي، فالأمرُ الذي بَعثَ الله به رسولَه -صلى الله عليه وسلم- هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعتُ النبي -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين؛ كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]، وهذا واجب على كلِ مسلمٍ قادرٍ وهو فرضٌ على الكفاية، ويَصير فرضَ عين على القادر الذي لم يَقمْ به غيرُه، والقدرةُ هو السلطان والولاية، فذووا السلطان أقدر مِن غيرهم، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناطَ الوجوب هو القدرة، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته قال -تعالى-: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]))[3].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٤٠٦/١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٥/٢٨).

ولست هنا باستقصاء الآيات الواردة في القرآن الكريم الدالة على مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان أهميته، فمكانته لا تخفى في دين الإسلام، ولذلك قَدمه الله في بعض الآيات على الإيمان بالله وعلى الصلاة والزكاة لعظم الحاجة إليه وشِدَّةِ الضرورةِ إلى القيام به ولإظهار مكانته في الإسلام، ولأن بتحقيقه تصلح أحوال الناس ويكثر فيهم الخير والصلاح، وتظهر فيهم السُنن والفضائل، وتختفي من بينهم البدع والرذائل، ويتعاون الجميع على البر والتقوى، ويتواصون بالحق والصبر، وإذا فعلوا ذلك حصل لهم الأمن والاستقرار، وشاع في مجتمعهم الآمان والطمأنينة والسعادة، وساد بينهم الحب والتراحم والعطف والتكافل، وبذلك تجتمع كلمتهم ويتوحد صفهم وتقوى شوكتهُم وتنحل مشاكلهُم ويهابهُم عدوهم.

وقد أخبر الله – تعالى – أن القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم أهل الرحمة، فقال – سبحانه – :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [التوبة:٧١]، وأنهم أهل الفلاح فقال – جل ذكره – :﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة:٥]، وأنهم أهل التمكين في الأرض، قال الله – تعالى – :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١]، وأنهم الموصوفون بالخير، وكل هذه الأوصاف جاءت في الآيات الدالة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الله – تعالى – مصدراً مِن مصادر الأمن في الحياة، فبه يستقر المجتمع وتستقيم أحوالهم، وتصلح أخلاقهم، وتقوى صلتهُم بربهم، ويأمنون في مجتمعهم على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم، أما إهمال هذه الشعيرة أو تركها فينتج عنها ابتلاء الناس بغياب هذه الأوصاف الحميدة في مجتمعهم، وتحل عليهم الكوارث والمصائب والشرور والتفرق وقسوة القلوب، ويعلو صوت الباطل ويكثر اتباعه، وهذا أمر واقع في كثير من المجتمعات التي تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجاء في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– ما يؤكد على القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي صحيح البخاري من حديث النعمان بن بشير –رضي الله عنهما– قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((مثل المدْهِن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فجعل ينقر

أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتهم بي ولابد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونَجَّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[1].

قوله: «المُدْهِن» هو الذي يرائي ويُضيع الحقوق ولا يُغير المنكر[2].

قال السندي (ت: ١١٣٨) قوله: «والمُدْهِن فيها» بالتخفيف، من الإدْهان، وهو المحاباة في غير حق، أي: التارك للأمر بالمعروف، مع المقدرة عليه لاستحياء أو قلةِ مبالاة في الدين، أو لمحافظةِ جانب[3].

وقوله: «استهموا» الاستهام هو الاقتراع أي أخذ كل واحد منهم سهماً أي نصيباً من السفينة بالقرعة[4].

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هو القائم بحدود الله لأنه يعلم أن النجاة تكون فيه، وأما التارك للأمر بالمعروف والتارك للنهي عن المنكر مع القدرة عليه فهو الساعي إلى جهة الهلاك لنفسه ولمن معه.

قال ابن حجر: وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا فيها[5].

ولهذا فإن الشارع الحكيم قد أكد على القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن قَدِر على ذلك.

وبين النبي –صلى الله عليه وسلم– العاقبةَ الوخيمةَ لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع توافر القدرة عليه فقال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[6].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٦)، وأحمد في المسند (١٨٣٦١)، والترمذي (٢١٧٣)، والبغوي في شرح السنة (٤١٥١).

(٢) فتح الباري (٥/ ٢٩٥).

(٣) حاشية السندي على مسند أحمد (١١/ ٦٠).

(٤) شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٤٣)، وفتح الباري (٥/ ٢٩٥).

(٥) فتح الباري (٥/ ٥٩٦).

(٦) أخرجه أحمد (١) عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٠٥)، وأبو داود (٤٣٣٨).

وفي الحديث الآخر عن حذيفة بن اليمان أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتَدْعُنَّه قلا يستجيبُ لكم))[1].

فالقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي صَمَّام الأمان لأمة الإسلام من كل الأخطار والهلاك، وسببٌ كبير بعد توفيق الله في حلول الأمن وبسط ذراعيه بين الناس.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد في المسند (٢٣٣٠١)، والبغوي في شرح السنة (٤١٥٤).

**الخاتمة:**

مضى بحمد الله وتوفيقه الحديث عن مقومات أمن الإنسان في القرآن الكريم، وفي ختام هذا البحث المختصر الذي تناولت فيه جانباً مهماً من جوانب حياة الإنسان وأمنه واستقراره ألخص هنا أهم النتائج:

١- أن الله – تعالى – كرم جنس الإنسان وجعله في غاية التكريم، فقد تكرر في القرآن ذكر الأطوار التي مر بها الإنسان في خلقه إلى أن خرج إلى هذه الحياة كامل الخلقة في أحسن تقويم ليكون مؤهلاً للقيام بحق الله عليه وهو عبادته وتوحيده وإخلاص الدين له.

٢- أن أشرف ما يتصف الإنسان به في هذه الحياة وصف العبودية لربه – تعالى –، فقد جعل الله هذا الوصف أعظم الأوصاف التي وصف بها نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– في أعلى المقامات وأشرفها، والواجب على الإنسان السعي في تحقيق هذا الوصف في كل أحواله وحياته؛ لينال القرب من ربه – جل وعلا–.

٣- أن الله – تعالى – ما شرع هذا الدين الإسلامي إلا رحمةً بهذا الإنسان المخلوق وجعل الله هذا الإسلام هو الفطرة التي فطر عليها منذ نشأته الأولى وجعل الله هذا الإسلام دين الوسطية والاعتدال والمخرج للإنسان من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى نور العلم والإيمان، وكان من أعظم مقاصد الإسلام الحفاظ على الكليات الخمس لكل الناس وهي: الدين، والعقل، والنفس، والمال، والعرض؛ ليعيش الإنسان في الدنيا آمناً على حياته مطمئناً في عيشه إلى أن يلقى ربه.

٤- أن أمن الإنسان الحقيقي في هذه الحياة متوقف على تحقيق هذه المقومات الكبرى التي سبق بيانها بالتفصيل في تضاعيف البحث، وهذا هو منهج الإسلام الصحيح الذي يكفل للإنسان أمناً واستقراراً وحياة مطمئنة إذا قام بتطبيق هذه المقومات في حياته فهي الطريق الأمثل والسبيل الأصلح والمنهج الأعدل في الدين الذي لا منهج قويم سواه.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وفي ختامه أحمد الله وأشكره على توفيقه وإعانته، وأسأله – سبحانه – الصدق في القول والإخلاص في العمل

وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

## المصادر والمراجع:


(١) أحكام القرآن، لأبي بكر: محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار الفكر، بيروت.

(٢) الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: دار الصديق، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، طبع على نفقة الأمير / أحمد بن عبد العزيز، سنة ١٤٠٣هـ.

(٤) الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ.

(٥) بدائع الفوائد، لأبي عبد الله: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. نشر: مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

(٦) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تأليف: عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، تحقيق : عبد الكريم آل الدريني، نشر: مكتبة المرشد، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٧) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان: محمد بن يوسف الأندلسي. تحقيق: مجموعة من العلماء، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

(٨) تفسير التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية، سنة ١٩٨٤م.

(٩) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أحمد محمد الطيب، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(١٠) تفسير القرآن الكريم، لابن كثير: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، نشر: دار المعرفة، بيروت.

(١١) تفسير القرآن الكريم، للشيخ / محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، الطبعة الأولى: ١٤٢٥-٢٠٠٤م.

(١٢) تفسير القرآن، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: أبي تميم ياسر، وأبي بلال غنيم، نشر: دار الوطن، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(١٣) التفسير الكبير للرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٤) التمهيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(١٥) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون وآخرين، نشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(١٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، تأليف: عب الرحمن بن ناصر السعدي، نشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(١٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ضبطه: محمد زهري النجار.نشر: مكتبة الهدى، الخبر، ومكتبة الخلفاء، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

(١٨) جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، وأحمد شاكر. الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، مصورة، مكتبة ابن تيمية. القاهرة.

(١٩) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، نشر: دار إحياء التراث، بيروت.

(٢٠) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، تحقيق: سعيد محمد اللحام، نشر: مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢١) حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الحسن نور الدين محمد السندي، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

(٢٢) الحدود الشرعية وأثرها في تحقيق الأمن والاستقرار، تأليف: الغزالي خليل عيد، نشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٢٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ.

(٢٤) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، نشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢٥) سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله: محمد بن يزيد القزويني. تحقيق وضبط: محمد فؤاد عبد الباقي،

نشر: دار الحديث، القاهرة.

(٢٦) سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، راجعه وضبطه: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار إحياء السنة النبوية.

(٢٧) سنن الترمذي، لأبي عيسى: محمد بن عيسى بن سَورة. تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: دار الحديث، القاهرة.

(٢٨) شرح السنة،للإمام المحدث: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

(٢٩) شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.

(٣٠) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. ضبطه ورقمه، د. مصطفى ديب البغا. نشر: دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ.

(٣١) صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني. نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

(٣٢) صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. نشر: دار الفكر، بيروت.

(٣٣) العبودية : لشيخ الإسلام ابن تيمية، نشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة السادسة: ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

(٣٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: د. محمد التونجي. نشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: سنة ١٤١٤هـ.

(٣٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل: أحمد بن علي بن حجر، إخراج وتصحيح وترقيم: محي الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار المعرفة، بيروت.

(٣٦) الفوائد: لابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد راتب عرموش، نشر: دار النفائس، الطبعة السابعة: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٣٧) كتاب العين، لأبي عبد ا لرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د / مهدي المخزومي، د / إبراهيم السامرائي، نشر: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

(٣٨) لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، تحقيق: نخبة من العاملين

بدار المعارف، نشر: دار المعارف، القاهرة.

(٣٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم.

(٤٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد : عبد الحق بن عطية الأندلسي، طبع: الشيخ / خليفة بن حمد آل ثاني.

(٤١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبدالله : شمس الدين محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٣٩٣هـ.

(٤٢) مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: جماعة من العلماء، نشر: دار الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

(٤٣) معالم التنزيل في التفسير، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، نشر: دار المعرفة بيروت.

(٤٤) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، أخرجه: د / عبدالجليل عبده شلبي، نشر: دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٤٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ترتيب وتنظيم، لفيف من المستشرقين، نشر: مطبعة بريل في مدينة ليدن، سنة ١٩٤٣م.

(٤٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ.

(٤٧) مفتاح دار السعادة، لأبي عبد الله : محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤٨) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، نشر: دار المعرفة، بيروت.

(٤٩) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس : أحمد بن عمر ابن إبراهيم القرطبي، تحقيق: جماعة من المحققين. نشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ.

(٥٠) مقاييس اللغة، لأبي الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، ترتيب وتنظيم: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الجبل، طبعة عام ١٤٢٠هـ.

(٥١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، نشر: مطبعة مجلس

دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٥٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، نشر: دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ.

* * *